

شهريرار جديد يولد من ضلع الأدبية «الأعوج»

أخلاق نسائية ووجهات نظر تفسر العالم وتعيد بناءه



إعادة ابتكار صور شهريرار (لوحة للفنان وليد نظامي)

يعشق عبيده (زهرة ديك، بين فكي.. وطن، منشورات التبني، الجزائر). شهريرار آخر جدير بالتوقف عنده، هو هذا الرجل العاجز عن تغيير العالم، والذي يجعل ذكوره تتألق تماما بين أحضان حبيبته. قد يكون هذا الشهريرار العاجز أمام حبيبته مشروعا مختلفا عما عودتنا عليه السرود العربية التي تجعل المرأة هي العنوان المفضل للوهن والعجز عن المواجهة، ويجعل خارطة لجوء شخص إلى شريكه خاضعة دائما إلى اتجاه واحد: المرأة العاجزة تحتمي بالرجل القوي. ولعلنا هنا مع الروائية زهرة ديك نغير أوليات هذه العلاقة وتحدث القاصة حفيظة طغام عن إحدى المسائل الأكثر إحداثا للجدل التي هي تصوير المشاهد الجنسية، فتعبر بشيء من اللامبالاة التي تفضح تطور الذكورة - وبالتالي وعي المجتمع - بهذه المسألة؛ تقول "بخصوص الرقيب فإن الجزائر تجاوزت مسألة الرقابة على الكتابة والرأي، وأعتقد أنك تعرفون ذلك ويعرفه أغلب المثقفين العرب، ولعلنا نحتل في ولبنان الريادة في هذا الشأن. أما بخصوص تصوير الجسد الأنثوي بشكل حسني، فإن أصحابه على قلتهم يشكلون تيارا أدبيا لم يستطع إلى حد الآن إقناع القارئ قنينا دون الوقوع في المباشرة والابتذال، ولم يمنعه أي رقيب، وأعمالهم يروج لها الإعلام وتدع لها القراء وتنظم الندوات، وتباع للجمهور بتوقيعاتهم".

هذا الهاجس يخفي اتجاهها هاما في البورتريه الجديد لشهريرار الذي عملت روائيات كثيرات على إخضاعه لسلطة السر لا من خلال توجيه الحديث إليه بل من خلال جعله موضوعا "للنظرة" ومادة للسر؛ وهي سلطة التمثيل الذكورية بامتياز، كما يسميها فوكو وجماعة الدراسات الثقافية.

في هذا الإطار تحضرنا نصوص كثيرة تعيد صياغة الرجل وهو يحتل مكان المرأة التي تتعرض لأغصاب الوصف "الرمزي" بسلبية، بلا صوت ولا قدرة على تمثيل نفسها. وها هي ذى المعادلة تنقلب تماما مع بطلة الكاتبة المغتربة عبيد شهريرار (ولاسمها المستعار "شهريرار" رمزية مضاعفة)؛ إذ تقول بطلتها محللة نفسية شهريرار الجديد هذا "الرجل.. هم بصرفون يعنف وردود فعل.. هم يملكون قلوبا تحب في كل لحظة، وتنبض خارج أصول الطبيعة، نبضاتهم قصاد حب ينظونها لكل واحدة، لا موازين ولا قسطاس، يخسرون الميزان دوما عند كل امرأة".

حماة، ذلك الوعاء الأبيض الذي يجتوئني في فضاء مائي كجني، حدث أن ولدت في داخلي إحساسا غريبا جعل من مغس الحمام أمي.. يحدث للأمومة أن تؤلني حتى عندما لا تكون لها قرابة بي".

والتي هي أن كتابات المرأة هي مشروع هام جدا في المنظور الذي نحن بصدده والذي يهدف إلى إعادة ابتكار شهريرار جديد قابل للدخول في الألفية الثالثة بسلامة ويكاد يعجز عن وما عالم العائلة التي قد تتحول إلى رحابة العالم كله منظرها هي الحال مع جميلة طلباوي التي تكتب قصة جميلة جدا حول فشل علاقة زوجية زلزلت حياة البطل الذي قارب الشلل ويكاد يعجز عن مجرد الحركة، وهو يتأمل حال البطلة الجريحة "أية" ثمرة الخطيئة التي لم تختر حياتها بل سقط عليها المكتوب الأعوج من عل (جميلة طلباوي)، أوجاع الذاكرة، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2008).

أما زهرة ديك فتتفرق المرأة في غرفة الزوجين عمر/ حياة مفضلة تحليل التفاصيل المعقدة جدا لنفسية عمر للشهريرار بدلا من ملاحم القاتل جميل الملاحم الذي يقضي الليلة في السمر ثم "المضاجعة" لكي يتحول في الصباح إلى الجفوة الكبيرة التي تعبر عنها نهاية الرواية المؤنثة بالموت.

كيف تتمثل الروائية الجزائرية رجلا يتجاوز "مقدمة نهاية الرواية" مستعدا لعيش مراحل الشراكة النفسية والمقاسمة الوجدانية لعالم تكون فيه الرواية/الحكاية مشروعا فائيا يؤدي إلى قتل واحد ووحيد هو "قتل ثمرة القتل"، أي محاربة الإنهك المترص بالحكايات من خلال تخصيص العلاقة السردية بين الساردة التي يترصب بها القتل والمسرد له الحامل للسيف في غمد المتعة السردية (الجنسية..).

من المثير للانتباه أن نجد أن المرأة تأخذ مكان الرجل، وأن المرأة ترسم الرجل؛ ذلك الرجل الذي يولد من ضلع الأدبية "الأعوج" طبعاً. وهي وضعية تدفعها أحلام مستغانمي في بعض المواقع إلى حالة التوليد "الذكوري" بالمعنى "الأنثوي" والتماهي في فنتته دون أي سمة ذكورية ودون أي علامة قضيبية أو إشارة إلى الهيمنة. يقول بطل "عابر سريري" روايتها الأشهر "الأمومة اكتشفتها كما عثر أرخميدس على نظريته وهو داخل

بإلصاح على كل الصفحات، لا يختفي - لضرورات سردية وتقنية - في صفحة أو اثنتين إلا ويعود إلى الحضور في الثالثة. وليس هذا السلوك بعيدا عن تلك الفكرة التي يتشبهت بها النقد النسائي، والتي هي أن كتابات المرأة بمعزل تام عن كتابات الرجل تقدم رؤية للعالم وتفسيرات للكون يمكنها أن تعوض رؤية الرجل وتفسره لرؤية ووصفه للعالم. وهذا أهم ما سيتم للمرأة الكاتبة التي ستحتل شهريراراً مختلفاً عن ذلك المختل الذي هيمن على قصص الليالي.

وهنا يظهر إلى الوجود تصور جديد بديل للرجل. مشاريع صورة جديدة للشهريرار بدلا من ملاحم القاتل جميل الملاحم الذي يقضي الليلة في السمر ثم "المضاجعة" لكي يتحول في الصباح إلى الجفوة الكبيرة التي تعبر عنها نهاية الرواية المؤنثة بالموت.

كيف تتمثل الروائية الجزائرية رجلا يتجاوز "مقدمة نهاية الرواية" مستعدا لعيش مراحل الشراكة النفسية والمقاسمة الوجدانية لعالم تكون فيه الرواية/الحكاية مشروعا فائيا يؤدي إلى قتل واحد ووحيد هو "قتل ثمرة القتل"، أي محاربة الإنهك المترص بالحكايات من خلال تخصيص العلاقة السردية بين الساردة التي يترصب بها القتل والمسرد له الحامل للسيف في غمد المتعة السردية (الجنسية..).

من المثير للانتباه أن نجد أن المرأة تأخذ مكان الرجل، وأن المرأة ترسم الرجل؛ ذلك الرجل الذي يولد من ضلع الأدبية "الأعوج" طبعاً. وهي وضعية تدفعها أحلام مستغانمي في بعض المواقع إلى حالة التوليد "الذكوري" بالمعنى "الأنثوي" والتماهي في فنتته دون أي سمة ذكورية ودون أي علامة قضيبية أو إشارة إلى الهيمنة. يقول بطل "عابر سريري" روايتها الأشهر "الأمومة اكتشفتها كما عثر أرخميدس على نظريته وهو داخل

منفتح وحز ومؤنث، يمارس دون الكثير من العقبات ولا الشروط الفنية الصارمة التي تحيل على سلالات من الروائيين "الرجال"، فهذا الشكل المقتضب يمثل طريقة "نسائية" في النظر إلى الأشياء؛ تعارض (وتقابل) وتناقض الطريقة الذكورية المرتبطة بسلسلة المقولات الذكورية المعبرة عن مختلف أشكال الهيمنة: المركزية اللغوية، المركزية الغربية، مركزية البناء الروائي.. إلخ.

يبدأ كل ذلك بمحاولة إثبات الذات لكي ينتهي إلى سحب شهريرار البساط من تحت أقدام شهريرار، أي إلى محاولة شق الطريق العسير للأنثى وسط العالم الذي يسيطر عليه الذكور. أمر نجد له علامات كثيرة في كتاب "الزهرة والسكين" للكاتبة الجزائرية زهرة بوسكين مثلا، أو في نصوص الروائية زكية علاء، صاحبة نص "قبر مفتوح" وفي الكثير من الكتابات الروائية الجادة الجريئة صاحبة الأثر الجديدة.

هذه اللهجة المنتقدة للوضع في الواقع هي أعمق ما سيواجهها ونحن نقتفي آثار إعادة ابتكار صور شهريرار من خلال عمل الخيال على إعادة تشكيل بنيات الواقع. وها هو "الصوت" الذي نحن بصدده يصف الجد قائلا "ومما زاد الطين بلة كونها أصبحت امرأة مطلقة وأن جدها لا يزال في

عادته السنيّة التي تكرهها هي نفسها وترفضها، وهي إيجاره للغرف العلوية من البيت بصفة غير قانونية معتبرا إياه نزلا، ورغم أن السلم المؤدي إليهم يخرج مباشرة إلى الشارع إلا أن هذا لدى البعض الذي يحلو له كثيرا نسج روايات الكف والنميمة وخاصة بعض النسوة اللواتي ليس لهن شغل سوى القيل والقال، ولا يعتبر حائلا أبدا بين قيام علاقات غير شرعية بين جوربة وأولئك الأعراب" كما تقول فاطمة العقون في كتابها "رجل وثلاث نساء".

من يتكلم في هذه القصص؟ ذلك هو السؤال المركزي والذي إجابته بالتأكيد هي المرأة عموما لا المرأة الكاتبة بالضرورة.

لن نمر بأي قصة أو رواية لكاتبة جزائرية دون أن نجد هذا الصوت موزعا

ما عاد العالم مقتصرًا على النظرة الذكورية، هناك نظرة نسوية تنمو دون توقف وتقدم رؤى أخرى للوجود البشري ولتاريخه ومآلاته، نظرة تكبر بشكل خاص في الأدب، الذي كان رهين التوجيه الذكوري. في الأدب العربي لم تكن المرأة غريبة عن عالم السرد والحكايات، ولنا في مثال شهريرار وشهريرار خير دليل على سطوة الشخصيات الأنثوية، لكن الفرق بين سرور المرأة سابقا والآن هو أن الأول كان خائفا ومحسودا والتأثير والثاني موجة فكرية كاملة تعيد خلق العالم بقوة تأثيرها.

منظور جديد، فقد أعيدت قراءة البنيات الأصلية الأولية المشكّلة للفكر الغربي (وكثيرا ما تم الوقوف لدى التماهي الظالم بين صفتي "الغربي" و"البشري" كتماه شديد الدلالة على ما تحاربه "النسوية") فاقترحت كريستينا قراءة لتغلغل الفكر النسوي والاعتبار "النسوي" في خارطة المسارات التي يرتاح إليها المحيط الذات الجريحة التي يصيبها العنف، أو غزو جروح كامنة تختبئ في الذاكرة، أو تلك التي أصيبت بالعنف السياسي أو العنف الرمزي، والتي وجدت نفسها عكس ما هي عليه الذات الأخرى كلها تستوطن الحركة، تجد وطنا لها في الترحال، ولا نجد دفء البيت وسكينته إلا في سكنى المسافات.. تلك الذات التي تتعود على الكتابة كعنوان بريدي في زمن شحّت فيه الكلمات التي تحيل على السكون والسكينة كمشكن.

والكتابة مستشفئ مجاني يفتح أبوابه للأرواح المعذبة ويمنح فرصا للتلاقي لمن خلقوا لكي يبوؤوا بالشئيات والتشريد والنظرة الاستعلائية للمحيط.



يقف الفلاسفة مطولا عند الذات الجريحة كذوات مسيرة للعالم. الذات المقلدة بالجروح تتعود على الشك في المسارات التي يرتاح إليها المحيط الذات الجريحة التي يصيبها العنف، أو غزو جروح كامنة تختبئ في الذاكرة، أو تلك التي أصيبت بالعنف السياسي أو العنف الرمزي، والتي وجدت نفسها عكس ما هي عليه الذات الأخرى كلها تستوطن الحركة، تجد وطنا لها في الترحال، ولا نجد دفء البيت وسكينته إلا في سكنى المسافات.. تلك الذات التي تتعود على الكتابة كعنوان بريدي في زمن شحّت فيه الكلمات التي تحيل على السكون والسكينة كمشكن.

والكتابة مستشفئ مجاني يفتح أبوابه للأرواح المعذبة ويمنح فرصا للتلاقي لمن خلقوا لكي يبوؤوا بالشئيات والتشريد والنظرة الاستعلائية للمحيط.

شهريرار آخر جديد هو هذا الرجل العاجز عن تغيير العالم، والذي يجعل ذكوره تتألق تماما بين أحضان حبيبته

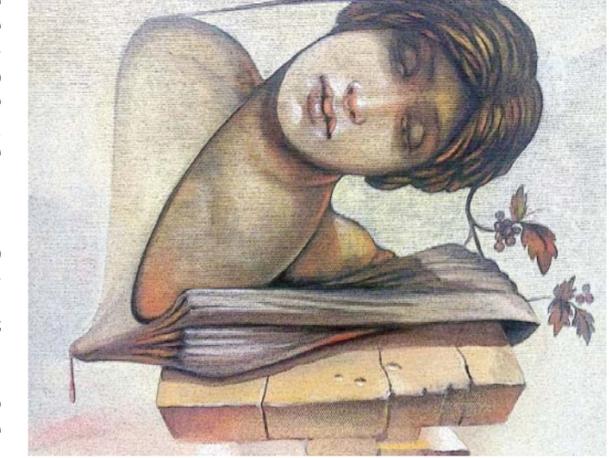
كان الفيلسوف الفرنسي الهام جورج كانغليام يقول إن بين "العادي/ الطبيعي/ السليم" و"المرضي" حدا فاصلا يسيرا لا يتجاوز لعبة كلامية. فهل الجنون مسالة خطابية فعلا كما كان يقول ميشال فوكو؟

بل! ستجيب السرود النسائية التي دفعها العنف العنقودي للعقل الذكوري المتعود على المرز منذ العشرات من القرون وعلى امتداد الآلاف من النصوص التي تصادق على أن ما تراه السرود الحديثة حالات مرضية هو حالة طبيعية لا غضاضة فيها ولا حرج في موتونها وحواشيها. ويعمل الخيال عملا خطيرا تعلمنا أبعاده الحقيقية مارثا نوسبوم؛ الفيلسوفة الواقة في منتصف المسافة بين علوم الأعصاب والعلوم العرفانية وبين الأدب والنقد الأدبي.. فالخيال يخلق عالما ويبتكر له "دوكساته" الجديدة، ويرسم كذلك ملامح الجمهور الجديد الذي سيكون مستعدا للتفكير حسب هذه الدوكسات التي لا قبل لنا بها.

إعادة صياغة العالم

ما الذي تقوله النصوص الروائية النسائية الجديدة حول رجل اليوم أو ما هي ملامح رجل الغد التي تقترحها يا ترى؟

إن أحد أهم العناصر التي أرادت الحركة النسوية تحقيقها منذ أكثر من أربعين سنة هو إعادة صياغة العالم من



المرأة الكاتبة تغير العالم